مبحث الوجود (الأنطولوجيا)

أهداف التعليم :

* التعرف على الإرهاصات الأولى للفلسفة اليونانية

* التعرف على كيفية إنتقال الفكر اليوناني من التفكير الأسطوري إلى التفكير الطبيعي

* التعرف على تباين التفسيرات لدى قدما ء اليونان حول أصل الوجود

إن الإنسان عندما يبحث في فكرة الوجود تتبادر إلى ذهنه وجوده هو نفسه ، ثم ينسحب هذا المعنى وتمتد الفكرة لتشمل وجود ما يحيط به من كائنات ثم يستدل على وجود غير محسوس ولا ملموس فيقول بوجود كائنات مفارقة ومجردة ويستمر إستدلال الإنسان وتجريده حتى يصل إلى مناقشة فكرة الوجود في ذاته أو الوجود المطلق . إذن ما ينتهي إليه الإنسان هو ما تبدأ به الفلسفة .

كان الوجود أول بحث بدأت به الفلسفة مسارها إذ انشغل الفلاسفة منذ القديم بالبحث عن أصل الكون وطبيعته، وكيفية نشأته وأصل التغييرات والكثرة منه .
لهذا فإن كتب التراث توجد بين ما بعد الطبيعة ومبحث الوجود، لأن فلسفة القدماء تتصف بأنها فلسفة وجودية تناولت بالبحث المبدأ الذي صدر عنه الوجود والمصير الذي ينتهي إليه هذا الوجود .
إذن يتناول مبحث الوجود المسائل التالية :
– البحث في الوجود بما هو موجود .
– البحث في خصائص الوجود العامة لوضع نظرية في طبيعة العالم .
– النظر فيما إذا كانت هذه الأحداث الكونية تقوم على أساس قانون ثابت او تقع مصادفة او اتفاقا وفيما اذا كان هذه الاحداث تظهر من تلقاء نفسها او تصدر عن علل ضرورية ، وفيما اذا كان هناك إلاه أم إذا كان الوجود ماديا صرفا أو روحانيا

خالصا أو مزاجا بينهما وإذا كان مبحث الوجود هو محور إهتمام الفلسفة منذ نشأتها فإن هناك إختلاف وتباين في تحديد مفهومه ،حيث أن الوجود ليس له تعريف لأنه لاحد له ولا رسم إذ هو أبسط المعاني وأعمقها فلا جنس فوقه يعرف به ولا فصل نوعي يميزه من حيث أن كل ما يعرض للوجود فهو موجود .

– أما فكرة الوجود في حد ذاتها فهي ترتبط اشد الإرتباط بأفكار أخرى مثل التغير والحركة و الصيرورة و الخلود والفراغ والعدم و الجوهر والماهية .

كما أن مصطلح الأنطولوجيا أو الوجود قد تغير معناه في الفلسفة المعاصرة ، فلم يعد دراسة للخصائص

الكلية للوجود، بل أصبح يعني الوجود الفعلي عند الفلسفة الوجودية التي اشتق إسمه منه إذ هي تهتم

بالوجود العيني الفريد لشخصية الموجود البشري للفرد .

إذن مبحث الوجود تعكف فيه الفلسفة على دراسة أصل الوجود ما إن كان ماديا أو روحيا أم هو مزيج بينهما ، أم هو مكون من عنصر محايد لا هو هذا ولا هو ذاك ؟

إختلفت الآراء في تفسير أصل الوجود ومادته الأولى إلى عدة إتجاهات :

1 – **المذاهب الواحدية** : الواحدية إتجاه يرد الكون إلى مبدأ أو جوهر واحد ، وهو يخص كل المذاهب الفلسفية التي عمات على تفسير الكون لإرجاعه إلى مبدأ واحد سواء كان هذا المبدأ ماديا أو روحيا أو محاديا .

أ – الواحدية المادية :

يتفق فلاسفة الإتجاه الواحدي على أن مبدأ نشأة وحركة الكون هو المادة ، وهذا ما أقره الفلاسفة الطبيعيون الأوائل الذين إهتموا بالوجود وعلاقته بموجود اخر رغم أنهم لم يتناولوا بالدراسة الوجود وعلاقته بالعدم .

وإذا كان هؤلاء الفلاسفة الطبيعيون قد إتفقوا على أن لهذا الكون أصل واحد إلا أنهم إختلفوا في تحديد طبيعته :

* طاليس :

جاء طاليس أول فلاسفة اليونان أو كما نسميه الأب الشرعي للفلسفة ككل على اعتبار أن الفلسفة اليونانية هي أول مراحل الفلسفة الغربية بصفة عامة .

طاليس عاش مابين 630-534 ق.م ولد في ملطيا ويعتبر المؤسس الحقيقي للمدرسة الأيونية وأول فيلسوف يوناني إن شئنا عرف بأنه متعدد الأسفار وإشتهر بأنه واحد من الحكماء السبع .

ثبت تاريخيا سفره إلى مصر حيث درس العلوم والهندسة على وجه التحديد على يد الكهنة المصريين ، ويعتبر طاليس أول فيلسوف إستخدم الفلسفة كمنهج فكري للوصول إلى الحقيقة .

توفي في سن متقدمة أثناء مشاهدة إحدى المباريات بسبب الحرارة الشديدة وشدة العطش .

على قبر طاليس نقشت العبارة التالية : "في هذا القبر الصغير يرقد طاليس العظيم والذي وصل مجده الى السماء ". إلى جانب كونه فيلسوفا يشهد له أنه كان عالم وعلى وجه التخصيص قد بحث في علوم الفلك والرياضيات ، وهو أول من تحدث عن المجموعة الشمسية وحاول في نفس الوقت انه يقدر حجم الشمس والقمر

- أهم انجازاته : بحث لأول مرة عن عنصر واحد يكون وراء الظواهر

في إعتقاد طاليس أنه عنصر الماء هو مبدأ أول لكل شيء ، ولعل طاليس قد إستقى هذه الفكرة من التراث القديم وهذا ما أكده أرسطو في كتابه " ما بعد الطبيعة " عندما بين أن طاليس أخذ هذا الرأي عن القدماء الذين كانت لهم وجهة نظر مشابهة ، إذ

كانوا يردون أصل الأشياء إلى أوقيانوس وهو النهر المحيط . كما أن طاليس هو أول من :

- تنبأ بالكسوف .
- قسم السماء الى فصول .
- قال أن أيام العام 365 يوم .

* أناكسيمندريس :

عارض أناكسيمندريس طاليس فيما تعلق بالمادة أو الأصل الذي ترد إليه كل الأشياء ، فالماء الذي قال به طاليس لا يمكن أن يكون المبدأ الأول طالما أن هناك ما هو أسبق منه ، ولهذا فإن أصل الكون مادة لا شكل لها ولانهاية هي اللامحدود أو اللامتعين وسماه " الأبيرون " .

- الأبيرون ليس عنصرا واحدا ولكنه مزيج من العناصر الطبيعية المختلطة وحدها يمكن أن تقسر مجيئ الموجودات الى الوجود وفنائها .

وربما يقترب أرسطو من فكر أنكسمندريس عندما يصف الأبيرون في كتاب الطبيعة بأنه ذلك الجوهر الكامن بين العناصر الاربعة :الماء ، الهواء ، التراب ، النار، ويفوقها إلى أشياء أخرى غير العناصرالأربعة .

- الأبيرون عنده تصور ميتافيزيقي .
- بلغة العصر عندنا يكون الأبيرون بمعنى الإله .

الأكيد أن الفيلسوف لم يقصد بالأبيرون عنصر محدد ، ولكن كان يتحدث عند المبدأ والجوهر وراء كل العناصر .

ولأن من الأبيرون تجيء جميع الموجودات لابد أنه من طبيعة مختلفة تحوي جميع العناصر وتفوقها .

ولأن جميع الموجودات لها نهاية محددة تفنى عندها، ولأنها تفنى في الأبيرون لابد أن يكون الأبيرون بلا نهاية

– أنكسمندريس مثله مثل طاليس كان عالم في الرياضيات والفلك وينسب اليه وضع أول خريطة للأرضية المعروفة وقت ذلك ، وأنه وضع في مقدمة خريطته تصميم الساعة الشمسية .

–إعتقد أن الأرض ليست بحاجة إلى قاعدة ترتكز عليها ولا تدور لأنها تقع في المنتصف وبالتالي لاتوجد ضرورة للإقتراب من إتجاه ما دون الاخر فهي تقع على مسافات متساوية من بقية الكواكب .

– الكون عنده لم يكن معنى مشوش، ولكنه شكل هندسي منظم يمكن شرحه وتفسيره بمساعدة النظريات الهندسية .

– تجاوزت إهتمامات أنكسمندريس دائرة إهتمام طاليس فإلى جانب أبحاثه الرياضية والفلكية والجغرافية إهتم بعلوم الأحياء وتاريخ الحضارات والأنثربولوجي والأرصاد الجوية .

– كان فيلسوف وعالم موسوعي أراد أن يقدم صورة متكاملة لمسارالأمور وتطورها منذ البداية وحتى عصره

– أخيرا يعتبر تصور أنكسمندريس للكون كخلية مستقلة ومنظمة ذاتيا هو ربما من أكثر التصورات العبقرية لهذا العصر، ويمكن تلخيص أهم ماجاء به للخروج من التفكير الأسطوري في النقاط التالية :

– الكون أصبح معه محكوم ذاتيا بقانون عام وليس بواسطة الاه او أية قوة أسطورية

– أصبح القانون الكوني له علاقات منظمة بين اطرافه المتنازعة وأصبحت أطرافه المتنازعة تتساوى جميعها في خاصية الوجود .

– دائرة العدالة والقصاص لم تعد مع أنكسمندريس تتوقف على أهواء طاغية كما كان معهود ولكن لها قوانين كونية تضبطها وتنظمها أي أصبحت هناك عدالة كونية تحكم الكون نفسه .

– يمكن القول أن أنكيمندريس كان سابقا لعصره مثله مثل طاليس عندما تنبأ بوجود عوالم متعددة ، هذا العالم الذي نسكنه ليس الوحيد ولكن هناك عوالم لامتناهية .

وضع كتاب " في الطبيعة " وهو أول كتاب فلسفي يوضع باللغة اليونانية .

* أنكسيمنس :

حاول البحث هو الاخر على المبدأ الأول للوجود ، ولهذا جاءت اراءه إمتدادا لأراء أنكسمندريس فاجتهد في علوم الفلك والرياضيات وإهتم بالتفرقة بين الكواكب والنجوم الثابتة وبيان أوجه الإختلاف بينهم .

إعتبر أن الهواء مبدأ أولا للوجود ، ولم يقل بالماء كما قال طاليس ولم يقل بالأبيرون كما قال أنكسمندريس لهذا إعتبر أنكسيمانس أن الماء ليس إلا صورة من صور الهواء المضغوط عند التكثف .

فعندما يكون الهواء أكثر تركيزا وتكثفا يصير ترابا .

وعندما يكون الهواء أكثر خفة تتكون النار .

هكذا كان الهواء هو الكتلة المكانية التي تحوي الكل ولها قوة حركية وروحية تفوق بقية العناصر .

* هيراقليدس :

الكون عنده لم يخلق ولكنه كان وكائن و سيكون دائما نارا مشتعلة تشتعل وتحبو بمقدار . ويقصد فيلسوفنا هنا بالنار أن لها مسارا دائريا تتحول وفقه أولا إلى مياه ثم إلى تراب (

أرض) ثم تبدأ الدورة العكسية حيث تتحول الأرض إلى مياه (بحر) ومن المياه إلى النار مرة أخرى .

لقد ميز بين مستويين لهذه النار ، النار المادية المحسوسة التي هي مصدر الضوء والحرارة لجميع أنواعها والمار الحية العاقلة أو النار المعنوية التي تشتعل في العقول والنفوس والقلوب وتكون هي المصدر لكل طاقات الإنسان وإبداعاته.

بنى هيراقليطس فلسفته في الوجود على مبدأ التغير الذي يقوم على صراع الأضداد ، إذ يرى أن الوجود دائم التغير والتحول و الصيرورة فكل شيئ في تغير وكل الموجودات تتغير من حال إلى حال ، ولا يوجد شيئ يظل ثابتا إلى الأبد .

إن الواقع وفقا للفيلسوف هو سلسلة من المتناقضات في صراع دائم ليسود إحداها في النهاية على الاخر ، وسرعان ما تتبادل الأدوار وهكذا في دائرة مفرغة (الحياة والموت مثلا) .

* فيثاغورس :

وجد فيثاغورس أن المبدأ الذي يفسر الوجود كائن في الشكل وليس في المادة ، فقال بالعدد كمبدأ أول للوجود . وكان للعدد أهمية خاصة جدا في الفلسفة الفيثاغورية فاليها أرجع كل شيء .

. الأرقام هي أساس الكون ، ولكل رقم معنى، فالرقم سبعة مثلًا هو مثال للحكمة، والرقّم ثمانية للعدل، وكشكر للآلهة بعد حل معضلة رياضية، يتم ذبح ثور .

كان فيثاغورس صاحب التقسيم الأول لأعداد زوجية وأعداد فردية وأعطى أهمية خاصة للعدد 10 لأنه حصيلة الأعداد الأولى1.2.3.4 هي أن جمعهم يؤدي إلى هذا الرقم السري والمقدس وفقا للمدرسة الفيثاغورية .

إن نظرية فيثاغورس هامة في علم الهندسة وأيضا نظرية لحساب طول وتر المثلث وهو يساوي مجموع مربع الضلعين الاخرين في المثلث قائم الزاوية ، وللنظرية الهندسية هذه عظيم الاثر في حياتنا العملية حتى الان .

أول من وضع جدول الضرب هو فيثاغورس .

فيثاغورس هو من اكتشف ان مجموع زوايا المثلث هي 180 درجة .